مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

الانزياح التّركيبي في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية في التّقديم والتّأخير والحذف

The syntaxical gaps in the holy Quran Practical study in the anastrophe and the elision

د. سهام صياد
sayadsihem81@gmail.com
جامعة الإخوة منتوري

تاريخ الإرسال: 2018/05/10 **تاريخ القبول: 2018/11/11**

الملخص:

تنوّعت علوم اللغة العربية في ظلال القرآن الكريم وتشعّبت فروعها، وتعدّدت موضوعاتها، من أجل إظهار مكنونات النّص القرآني واستكشاف أسراره، ومن بين هذه الموضوعات ظاهرة الانزياح التي يقصد بها خروج اللغة عن الأصل والمألوف في الاستعمال، لتحقيق قيم جمالية وبلاغية واستحداث صور لغوية .

وتحاول هذه الدراسة الوقوف على أبرز صور الانزياح التركيبي في النص القرآني، وتبيان دورها الدلالي والبلاغي فيه بالتطبيق على أسلوبين بارزين هما: التقديم والتأخير، والحذف حيث تتجسد فيهما صور كثيرة للانزياح.

الكلمات المفتاحية: الانزياح_ التركيب _ القرآن الكريم _ التقديم والتأخير _ الحذف.

Abstract :

There are diversity of language science under quran's shadow .it has a several streams and topics which use to appear literary quranic text files . also to discover its secrets.

One of these topic we find diplacement ;which we mean the autgoing of language from familiar in order to realize a esthetic and rhetorical values and creat rhetorical pictures.from

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

this article we try to focus on the main replacement points in the quranic text to show the semantic and phetoric role on it .

As well as the discussion will concentrate on the structural replacement with two sides :submission and literary delay and hunningbird.that's we suppose them as the essential sections that many images appear on it .

Key words: Gaps- Syntx-Holy Quran- Anastrophe- Elision

مقدمة:

استخدم البيان القرآني بدائع بلاغية كثيرة، أعجزت من عاصروه على أن يأتوا ولو بأقصر سورة من مثله ﴿ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾ [الإسراء: 88]، ولازالت تُعجزُ كل عالم بأسرار اللغة إلى يومنا هذا، ومن بين هذه البدائع والدلائل الإعجازية ما اصطلح عليه بالانزياح الذي يهتم بدراسة صور العدول في النص القرآني، استصحاباً للقيم البيانية في التفسير، باعتبارها أداة للكشف عن عمق المعنى القرآني ؛ذلك أن القرآن الكريم في مسلكه اللغوي تجاوز ما درج عليه اللسان العربي استعمالا واعتاده بيانا، فكانت له طريقته المائزة في استعمال اللغة، تشكلت منها سمات جمالية نموذجية أبانت عن أسراره وبلاغة إعجازه.

2– مفهوم الانزياح: لغة واصطلاحا:

أ_لغة:

وردت لفظة "**زيح**" في لسان العرب بمعنى: زَاح الشيء يُزِيحُ زيحاً وزُيوحاً زِيوحاً وزَيْحاناً، وانزاح: ذهب وتباعد، وأزحته وأزاحه غيره [1].

[1] – لسان العرب: ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، مادة (ز ي ح)، مج3، ج21، ص1897. وينظر: _القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، ط3، المطبعة الأميرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1301هـ، مادة (زاح)، فصل الزاي، باب الحاء، ج1، ص225.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

وفي التهذيب: **الزّيح** :ذهاب الشيء، تقول أزَحْتُ علته فزاحت وهي تزيح [1] قال الأعشى:

وأرملةٍ تَسْعى بشُعثٍ كأنَّها وإيّاهم رُبدٌ أحثَّت رِئَالَها.

هنأنا فلم تمُنُنْ علينا فأصبحتْ رَخِيَّةَ بالٍ قد أزحنا هُزَالَهَ.

وجاءت مادة "**زيح**" في مقاييس اللغة بمعنى: زَيَحَ وهو زوال الشيء وتنحيته، يقال: زاح الشّيء يُزيحُ: إذ ذهب وقد أزحتُ علته فزاحت وهي تزيحُ [2] .

أما في معجم أساس البلاغة:

الانزياح: زيح :أزاح الله العلل، وأزحت علته فيما احتاج إليه، وزاحت علته وانزاحت، وهذا مما تزاح به الشكوك من القلوب[3].

فالانزياح لفظ مشتق من مادة الفعل الثلاثي "**زيح**" أو"**زاح**" الذي يحمل معانٍ متعددة منها: ذهب، تباعد، بَعُد .

ب_ اصطلاحا:

اتّخذ مفهوم "**الانزياح**" ألفاظا عديدة وتعاريف مختلفة، تنطلق من وجهات نظر خاصة أو بحسب المجال الذي يشتغل فيه الباحث ، فهناك من يطلق عليه "**العدول**" أو"

[1] – تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح: محمد علي النجار، د ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1384هـ–1964م، مادة (زاح)، ج3، ص415.

[2] – معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1402هـ–1981م، مادة (زيح) ج3، ص39.

[3] – أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ–1998م، مادة(زيح)، ج1، ص428.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

الانحراف"، أما أبو عبيدة معمر بن المثنى (210هـ) فيطلق عليه اسم "**المجاز**"[1]، وهو عند ابن المعتز (296هـ) "**الانصراف**"[2]، وعند قدامة ابن جعفر (337هـ) "**الرجوع**"[3]، أما الرماني (384هـ) فقد استعمل مصطلح "**العدول**" عند وصفه لأحد ضروب البلاغة ألا وهو المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة[4]، وكذلك الحال عند ابن جني (392هـ) فقد استخدم المصطلح نفسه في باب التفسير على المعنى دون المصطلح[5]، كما استعمل أيضا مصطلح "الانحراف "عند وصفه للتحولات الطارئة على صيغ المبالغة[6].

ويستعمل أبو هلال العسكري (395هـ) مصطلح العدول في شرحه للفرق بين لفظتي "الرّحمن" و"الرّحيم" قائلا: «أن الرحيم مبالغة لعدوله، وأن الرحمن أشد مبالغة لأنه أشد عدولا إذا كان العدول على المبالغة كلما كان أشد عدولا كان أشد مبالغة»[7].

[1] – مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق: محمد فؤاد سزكين، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، 1374هـ–1954م، ج1، ص 10.

[2] _ البديع: عبد الله بن المعتز: تعليق: إغناطيوس، كراتشفوفسكي، ط3، منقحة، دار الميسرة، بيروت، لبنان، 1402هـ–1982م، ص56.

[3] _ نقد الشعر:أبو الفرج قدامة بن جعفر، تح:كمال مصطفى، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1398هـ–1978م، ص 147.

[4] _ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني، الخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1991م، ص104.

[5] _ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، مصر، دت، ج3، ص267.

[6] _ المصدر نفسه:ج3، ص268.

[7] _ الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، دت، ص196.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

أما ابن رشيق القيرواني فيستخدم مصطلح "**الاعتراض**" [1]

واستعمل عبد السلام المسدي في العصر الحديث مصطلح "**الانزياح**" واقترح مصطلحا بديلا وهو "**التجاوز**" أو "**العدول**" « ولفظ انزياح ترجمة حرفية للفظة" ecart"، على أن المفهوم ذاته يمكن أن نصطلح عليه لفظ "**التجاوز**"، أو نُحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي كلمة "**العدول**"»[2].

هذه أهم المصطلحات المرادفة للانزياح في التراث اللغوي العربي، لكن تعددها قد يجعل الأمر عسيرا في ضبط مفهوم واحد له، ومع هذا يمكن القول إن :مصطلح الانزياح مصطلح عسير الترجمة لأنه غير مستقر في المعنى، ولأنه وليد الترجمة للفظة أجنبية؛ وهو مصطلح أسلوبي يعني الخروج عن الأصل والقاعدة ؛ أي الانحراف عما هو مألوف وشائع في الاستعمال، ويفضل الأسلوبيون استعمال مصطلح "**الانزياح**" لكثرة رواجه وإقبال الذوق عليه[3].

كما يعد من المفاهيم الأساسية في الأسلوبية، وذلك راجع إلى تأثيرات أفكار (فرديناند دي سوسير)، فمفهوم الكلام عنده يعد ضربا من ضروب الانزياحات الفردية الناتجة عن مستعملي "اللسان"[4] .

ويكاد الإجماع ينعقد على أن الانزياح هو خروج عن المألوف، أو هو الخروج عما

[1] _ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1401هـ–1981م، ج2، ص45.

[2] _الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص162، 163.

[3] _اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري: رابح بوحوش، دط، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 1427هـ_2006م، ص 196.

[4] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

يقتضيه الظاهر لغرض يقصده المتكلم، وقد يكون دون قصد منه، غير أنه في كلتا الحالتين يخدم النص بشكل أو بآخر وبدرجات متفاوتة[1]، إذ أنه يسمح للمبدع بمراوغة اللغة، والانزياح عن قوانينها المعيارية التي تحاول ضبط الخروج عن المألوف والمعتاد من اللغة نفسها، وهو المفهوم الذي تبناه علماء الأسلوب أمثال "ليوسبتزر" الذي يعتبره «انحرافاً فردياً بالقياس إلى القاعدة»[2]، فلا يمكن الخروج أو الانحراف عن الكلام العادي إلا بوجود الأصل الذي يعدل عنه أو معياراً يُنزاح عنه، حيث يرى "بير كيرو" أن «الانزياح يُعرف كميّا بالقياس إلى المعيار»[3] .

وأشار إلى هذا المفهوم يوسف أبو العدوس في كتابه: "الأسلوبية الرؤية والتطبيق "، حيث اعتبره انزياحاً عن قاعدة الاستعمال اللغوي[4]، وهو بهذا يجعل الأسلوب ظاهرة لا تخرج عن مفهوم الانزياح، أما منذر عياشي فيوضح مفهومه للانزياح من خلال العلاقة بين اللغة المعيار والأسلوب المنزاح، وبناءً على هذا يظهر الانزياح على نوعين: «إما خروج عن الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج عن النظام اللغوي نفسه»[5]، فيكون الانزياح في كلتا الحالتين كسرا لمعيار معين ينتج عنه قيمة لغوية وجمالية.

3– الانزياح والنص القرآني:

انفرد القرآن الكريم بأسلوبه الذي أبهر أهل اللغة، وكان هذا الأسلوب الخلاب الذي

---

[1] _الأسلوبية الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس، ط 1، دار الميسرة، الأردن، 2007م، ص7، وينظر أيضاً :_الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: أحمد محمد ويس، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426 هـ_2005م، ص7.

[2] _ بنية اللغة الشعرية: جون كوهن، تح: محمد الولي العمري، ط1، دار توبقال، المغرب، 1986م، ص16.

[3] _ المرجع نفسه :الصفحة نفسها.

[4] _الأسلوبية الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس، ص188.

[5] _ المرجع نفسه :ص180.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

تميز بألفاظه المنتقاة بعناية، وتراكيبه وجمله أحد أسباب إعجازه؛ إذ نرى التفنن والتنوع الذي يعطي للكلمة ما لا تعطيه كلمة أخرى.

وقد جاء هذا النص حاملاً لقيم جمالية لغوية تشير إلى خروجه وانزياحه عما هو مألوف، هذا الانزياح وُجِدَ في مختلف الدراسات اللغوية التي تهتم بالقرآن الكريم، ولعل أول إشارة وُجِدتْ في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ) :«ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كفَّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ... ومجاز المقدَّم والمؤخَّر»[1]، فقصده هنا الانزياح أو العدول عما ألفه الناس من أساليب التعبير.

وتعتبر دراسة ابن قتيبة (276هـ) في كتابه "تأويل مشكل القرآن" دراسة شاملة لجميع أنواع الانزياح في النص القرآني، حيث خصص باباً عنونه ب"مخالفة ظاهر اللفظ معناه"، تحدث فيه عن المعاني السياقية لبعض الأساليب الإنشائية كالاستفهام والأمر، والجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان، العام ويراد به الخاص.[2]

وخروج النص القرآني عن المألوف من كلام العرب دفع بالعلماء لدراسة القرآن الكريم أكثر، من أجل إثبات إعجازه؛ فالرماني (384هـ) يتخذ منه حجة قاطعة على تفوقه على ضروب الكلام مطلقاً، ويطلق عليه "**نقض العادة**"، حيث يقول :« وأما نقض العادة، فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام المعروفة، منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى

[1] _ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ج1، ص 18، 19.

[2] _ تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: السيد أحمد صقر، ط3، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1401هـ–1981م، ص257_298.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة من الحسن تفوق به كلَّ طريقة»[1].

فالقرآن الكريم يتميز بأسلوبه المعجز، هذا الأسلوب الذي عُدَّ ناقضًا للعادة متجاوزاً لها، بالغاً بحسنه درجة الإعجاز، وعندما وظّفَ القرآن الكريم الانزياح وظّفه بطريقة فنية دقيقة، توجد في المكان المناسب، قادرة على إيصال المعنى بأسهل الطرق وبأبلغ الأساليب، مراعياً القواعد العربية.

فنظم القرآن نظم مخصوص داخل دائرة الفصاحة العربية، نظم معجز بانزياحه وخروج تراكيبه عن المتعارف عليه، مستخدماً مختلف فنون البلاغة القرآنية من تشبيه، استعارة، مجاز، تقديم تأخير، لف ونشر، والتفات وغيرها، وهذه الفنون هي ما قسّم بها العلماء الانزياح إلى مستويين اثنين: الانزياح الاستبدالي أو الدلالي[2]، والانزياح التركيبي موضوع هذا المقال.

3–1– الانزياح التركيبي:

هو الانزياح المتعلق بتركيب الكلمات بعضها مع بعض في السياق الذي ترد فيه، ويحدث مثل هذا الانزياح من خلال الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو الجملة أو الفقرة، [3] لأن الترتيب الطبيعي للكلام أو الجملة النحوية الفعلية يقتضي: فعل +فاعل +مفعولا به، وفي الجملة الاسمية، المبتدأ +الخبر.

ولذلك فإن المتكلم حينما يخرج عن الحدود النحوية المتعارف عليها، ويلجأ للانزياح، فقد يكون لغرض تحقيق هدف دلالي، لا يستطيع أن ينجزه إن حافظ على

[1] _ النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الروماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف أحمد، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، دت، ص111.

[2] _ للتوسع أكثر ينظر :الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: أحمد محمد ويس، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م، ص 111، 112.

[3] _ الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: أحمد محمد ويس: ص 120 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

الترتيب المعتاد للجمل« وأهمية المعنى تأتي من أهمية موقع الكلمة، وتحريك الكلمة أفقيا إلى الأمام، أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي »[1].

وما يعنينا في هذا العنصر هو الوقوف على بعض مظاهر الانزياح التركيبي في النص القرآني، المتميز بأساليبه المتنوعة، والتصرف في التراكيب من حيث: التقديم والتأخير، الحذف، الالتفات، التعريف والتنكير، الاعتراض وغيرها من الأساليب، التي كان لها الأثر الواضح في إثراء دلالة النص القرآني، للكشف عن قيمه وأسراره البلاغية، حتى وإن خرج عن معتاد اللغة العربية، وسنخصّ التقديم والتأخير والحذف بالدراسة لأنهما يمثلان بؤرة مباحث الانزياح التركيبي.

3–1–1– التّقديم والتّأخير:

من المعروف أنَّ للغة العربية نظاماً معيناً في ترتيب عناصر الجملة، ولكن هذا النظام ليس مطّردا دائماً ففي أحوال كثيرة يتمّ الانزياح عنه، والخروج على قواعده، بتحريك عنصر ما إما بتقديمه أو تأخيره بحسب دلالته في الجملة.

ولقد تنبَّه سيبويه لهذه الظاهرة قديما وأشار إلى ما لها من أثر دلالي عند حديثه عن الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله، حيث يكون التقديم حين يكون بيانه أهم وأولى[2]، ولهذا فإن ظاهرة التقديم والتأخير تُعدُّ دليلاً على مرونة اللغة العربية، في تغيير تركيب الجملة، والتصرف في الرتب لغايات وأسرار بلاغية.

أما تعريف التقديم والتأخير لغة واصطلاحا فيكون على النحو الآتي:

[1] _جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم: محمد عبد المطلب، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، 1995م، ص161، 162.

[2] _الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: تح :عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1408هـ–1988م، ج1، ص 35.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

أ– التقديم والتأخير لغةً: تقدَّمه وتقدَّم عليه واستقدم، وقدمته وأقدمتُه، فقدَّم وأقدم بمعنى تقَّدم، ومن مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة والإقدامُ في الحرب[1].

ويقال: مضى قُدُمًا وتأخر أخُرًا وجاء في أخريات الناس، وأخّرته فتأخرَّ واستأخر كتأخر[2]، ومنه قوله تعالى: ژ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ژ [الحجر: 24].

والآخر خلاف الأول يقال: لا مرحبًا بالآخر أي بالأبعد [3].

والتقديم والتأخير مصدران للفعل قدّم وأخّر، وجاء اسم الفاعل منها المقدّم والمؤخر، والمصدر منها التقديم والتأخير، وفي لسان العرب: « المقَدِّم في أسماء الله الحسنى هو الذي يُقَدِّم الأشياء ويعضها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدّمه ومقدمة كل شيء أوّله»[4].

ونقيضه في العربية هو المؤخر :« وهو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها»[5].

ولعل مجيء الاسمين (التقديم والتأخير) عوضا عن (التقدم والتأخر)، هو أن هذين الأخيرين لا يؤديان الغرض المقصود.

ومن أجل ذلك فقد اعتنى النحاة بهما واستعملوهما في تعبيرهم عن ظاهرة معينة في التركيب اللغوي ؛فالتقديم في اصطلاحهم :« هو خلاف التأخير وهو أصل في بعض العوامل والمعمولات ويكون طارئا في بعضها الآخر، ومما يجب التقديم فيه هو أصل الفعل مع الفاعل والمبتدأ مع الخبر، والفاعل مع المفعول به، وبقية الفضلات والمكملات»[6].

وأما التأخير في الاستعمال النحوي «هو حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء

---

[1] _ أساس البلاغة: الزمخشري، مادة(ق د م)، ج2، ص 58.

[2] _ المصدر نفسه، مادة(أخ ر)، ج1، ص 22.

[3] _ لسان العرب: ابن منظور: مادة(أخ ر)، ج1، ص 38.

[4] _ المصدر نفسه: ج 39، ص3552

[5] _ المصدر نفسه: ج 2، ص38.

[6] _معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي، دار الثقافة، الجزائر، دت، ص 1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

الجملة وتوجب وضعه في موضع لم يكن له في الأصل»[1].

ب– اصطلاحاً: الكلمة تتبادل مع غيرها لتترك موقعها في الكلام، وإما أن تأتي متقدمةً أو متأخرة، وهذا لكي تؤدي دورًا بلاغيًا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الأصلي[2].

ومن الأمثلة قوله تعالى: ژ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ [هود: 77]، وقوله تعالى: ژ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ژ [الحجر: 61].

يتكوّن تركيب الجملة في سورة هود من: فعل (جاء) + فاعل (رسل) + مفعولا به (لوط).

أما تركيب الجملة في سورة الحجر فمختلف عن تركيبها في سورة هود من حيث ترتيب العناصر، فقد جاء على النحو الآتي: الفعل (جاء) + المفعول به المقدّم (آل) + الفاعل (مرسلون).

إن التقديم والتأخير في هاتين الآيتين مختلف، فتقدّم المفعول به (آل لوط) في سورة الحجر على فاعله (المرسلون)، بينما جاء الفاعل في سورة هود وفق الترتيب النحوي المعتاد، فما السر في ذلك؟.

إن سياق الآيتين متضمن لأحداث قصة النبيين لوط وإبراهيم عليهما السّلام مع الملائكة، وأنه بعد مغادرة الملائكة إبراهيمَ ذهبوا إلى لوط، ولكن في هيئة بشر كما فعلوا مع إبراهيم υ، فتقدّم المفعول به (آل لوط) على فاعله (المرسلون)، لأن الحديث عن نبي الله

[1] ــ معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي، ص9 .

[2] ــ بلاغة الكلمة والجملة والجمل: منير سلطان، ط3، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1996م، ص 108.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

لوط ومقابلته للرسل[1] ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ [الحجر: 62]، فردّوا عليه ﴿ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ﴾ [الحجر63_64].

بينما جاء الفاعل في سورة هود (رسلنا) وفق الترتيب النحوي المعتاد (فعل+ فاعل+ مفعولا به)، لمجيئهم في هيئة بشر حسان الوجه، ولم يكن لوط يعلم أنهم ملائكة من عند الله، فخاف عليهم من قومه، وخشي أن يفعلوا بهم الفاحشة فقال[2]: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ﴾ [هود: 77]، وذلك من خوفِ قومه أن يَفْضَحُوه في ضيفه، فكان يوماً شديد الشر عظيم البلاء، لقوله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ [هود: 78][3].

إن الحوار الذي كان بين لوط وقومه الذين يأتون الرجال شهوة دون النساء ويجاهرون بهذا الفعل الشنيع، جعله يخاف على الملائكة ويقول: ﴿ ھ ھ ے ﴾ لهذا تصدر الفاعل (رسلنا) هذا الموقع[4]، ويقول عبد الكريم الخطيب: «وقد جاء النظم القرآني لقصة لوط هنا مخالفًا لما جاء عليه في مواضع أخرى... وذلك أن الملائكة هنا أخبروه بهلاك القوم...وقبل أن يجيئوا إلى لوط يريدون الفاحشة في هؤلاء الضيوف، وفي مواضع أخرى جاء النظم القرآني على غير هذا، كما يقول الله تعالى: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڱ...

[1]_ التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج 14، ص63.

[2]_ تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ–1993م، ج 5، ص246.

[3]_جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، 1422 هـ–2001م، ج12، ص497.

[4]_ تفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تح: مصطفى السيد محمد وحسن عباس قطب وآخرون، ط1، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر، 1421هـ–2000م، ج7، ص455.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

ﱡﱠ [هود 77–81]، فما جواب هذا؟، وترتيب الأحداث هنا غير ترتيبها في النظام السابق، قال الجواب: هو أن الملائكة في هذه الآيات قد ألقوا بالبشرى إلى لوط حين التقوا به ورأوا ما دخل عليه منهم من خوف وفزع...ثم جاءه قومه بعد ذلك وكان ما كان منهم معه ومع الملائكة، فكان من لوط كرب وضيق مما حل بالملائكة وتشبث قومه بهم ومحاولة الاعتداء عليهم»[1].

ومما تقدم نلحظ أن هذه الآية أصبحت بفضل ما فيها من انزياح تحمل دلالات أخرى، فالسياق هو الذي أوجد هذا الترتيب في الآيتين السابقتين.

ومن مظاهر التقديم والتأخير في الجمل، وعلى وجه الخصوص في الجملة الفعلية أثناء تقديم المفعول به، وهو اسم وقع عليه فعل الفاعل، والأصل فيه أن يأتي بعد إتمام الإسناد فيتأخر عن الفعل والفاعل، ولكن قد يتقدم على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل معاً، لنكتة بلاغية ما، وحسب ما يقتضيه المعنى البلاغي لذلك ومثاله قوله تعالى: ﱡﱠ [النساء:8]

فترتيب الجملة جاء كما يأتي: فعل (حضر) + مفعولا به مقدما (القسمة) + فاعل مؤخر (أولوا القربة)، فجاء هذا التركيب مخالفاً لمقتضى الظاهر؛ إذ المفروض أن يكون: فعل (حضر) + فاعل (أولوا القربة) + مفعولا به (القسمة)، فما السر الإنزياحي في هذا ؟.

تخالف الآية الكريمة مقتضى الظاهر في ترتيب عناصر الجملة الفعلية، حيث تقدم المفعول به "**القسمة**" على الفاعل " **أولوا القربة**"، من أجل الاهتمام بالمقدم لأن الحديث منصباً عنه، وهذا من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التقديم.

ففي الآية مدار الحديث عن القسمة، فكان الأولى بها أن تتقدم على الفاعل، للفت الأنظار إليها ولتستقر في النفوس، ومن أجل جعل القائمين عليها يهتمون بقسمتها،

[1]_ التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، د ط، دار الفكر العربي المعاصر، القاهرة، مصر، د ت، ج4، ص 255، 256.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

وإعطائها لأولي القربى، واليتامى والمساكين، وهناك جانب آخر وهو أن في الفاعل تعداداً وتطويلاً لا يحسن أن تأتي بعده لفظة "**القسمة**" لكي لا تفقد أهميتها، فكان الأولى ذكرها في البداية، يقول الألوسي في ذلك: «وقدمت لأنها المبحوث عنها...وقيل: قدمت لتكون أمام الحاضرين في اللفظ كما أنها في الواقع، وهي نكتة في التقديم لم أر من ذكرها من علماء المعاني»[1].

و نلاحظ أن تغيير ترتيب الألفاظ وانزياحها عن مكانها الأصلي يضفي على السياق دلالة بلاغية، تفتقدها إذا ما حافظنا على ترتيبها الأصلي، ومن ذلك ما نجده من الانزياح في قوله تعالى: ﴿ۡهِ ه ه ه ه ے ےۓ ۓ ﮎ ﮏ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ﴾ [الأعراف: 154]

ويقتضي السياق من الناحية النحوية "ولما سكت الغضب عن موسى" إلا أن الجار والمجرور قد تقدم ورُبط سكوت الغضب بموسى، فأصبح الكلام يقتضي "ولما سكت عن موسى الغضب"، حيث شبه الغضب بإنسان يدعو موسى عليه السلام ويحثه على العنف ويغريه بالقول؛ قل لقومك كذا، وافعل بهم كذا، جراء عودتهم لعبادة العجل بعدما نهاهم موسى عن ذلك، وتشبيه الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته، وفي هذا النظم القرآني من البلاغة والمبالغة: « بتنزيل الغضب الحاصل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغزى عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت مالا يخفى »[2].

[1] _ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ت، ج4، ص 212.

[2] _ تفسير" أبو السعود": المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج3، ص276.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

إن جعل الغضب إنساناً ناطقا يقول ويسكت ويغري، جعل الصورة تبدو جلية واضحة في الذهن، وجعل للتعبير جمالية نابّجة عن تلاحم المعنى مع الألفاظ، للوصول إلى المعنى المعنوي المقصود وهو الهدوء والسكون وذهاب الغضب، وعدم الاستماع للنفس الأمارة بالسوء.

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ۓ ﴾ [الشعراء: 221، 222] .

يتضح من سياق الآية أن هناك انزياحاً تركيبياً، فالتركيب القرآني جاء على الشاكلة الآتية: تنزل _على كل _ أفاك أثيم، ولكن السياق يقتضي: تنزل_الشياطين _على كل _ أفاك أثيم، وسبب العدول عن هذا الأصل أن التنزل من أمر الله، أي ما تنزلت الشياطين بالقرآن على محمدρ، وفي هذه الآية كان الكلام عن تنزّل الشياطين الملعونة، فاقتضى التركيب القرآني ذلك، وفي هذا يقول محمد الطاهر بن عاشور: «والمجرور مقدم على عامله للاهتمام بالمتنزل عليه، وأصل التركيب: من تنزَّل عليه الشياطين، فلما قدم المجرور دخل حرف "على" على اسم الاستفهام وهو "مَن" لأن ما صْدَقَها هو المتنزل عليه»[1].

وغرض التقديم هنا بلاغي وهو تنزيه الله عز وجل عن تنزيل القرآن الكريم على الشياطين.

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم نجد آيات التقديم والتأخير تظهر في صور مختلفة عن طريق تحويل المعنى المعنوي إلى معنى مادي مجسد بغرض تنسيق الصورة ؛ولو تغير مبنى الكلام وسار على الطريقة المعتادة لذهب الجمال عن الصورة المرادة، ومثال ذلك قوله

وينظر: _ التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج9، ص122.

[1] _ التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ج 19، ص205. وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج 19، ص139.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

تعالى: ژ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ژ [الحشر: 02].

لقد خالف الترتيب في هذه الآية الأصل من حيث ترتيب عناصر الجملة الاسمية ؛إذ الأصل هو أن يتقدم المبتدأ على الخبر، وهذا لأغراض بلاغية أوصلها الزركشي إلى خمسة وعشرين غرضا، كالعناية والاهتمام والتوكيد والتخصيص والقصر والتعظيم والتشويق والتنبيه والتعجب ورعاية الفواصل...وغيرها من الأغراض البلاغية [1] .

لقد تقدم الخبر (مانعتهم) على المبتدأ (حصونهم)، وصور هذا التقديم مدى ثقة الكافرين بحصونهم، فتقدم المنع على التحصين لتصوير عظم نظرتهم لهذه الحصون، التي يرون أن الله لا يستطيع أمامها شيئا، وهذا ما أكده الزمخشري قائلا: «فإن قلت :أي فرق بين (وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم) وبين النظم الذي جاء عليه؟ قلت :في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسما لأن، وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معاداتهم، وليس ذلك في قولك :وظنوا أن حصونهم تمنعهم»[2].

ففي تقديم الخبر، وهو "مانعتهم" تبيان لكمال قدرة الله تعالى على خلقه بحيث لا عاصم من أمره إلا من رحم لأن هؤلاء اعتقدوا حصانة حصونهم، ووثقوا بمنعها إياهم،

[1]ــ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، دار التراث العربي، القاهرة، مصر، دت، ج3، ص238ــ274

[2]ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيكان: الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ–1998م، ج 6، ص74.

وينظر أيضا: التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ج 28، ص66.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فلم يعتصموا، ولو قدّم المبتدأ لما أفاد الكلام هذا المعنى .

إن السياق هو الذي يحدد جمال الصورة وقوتها، وقيمة اللفظة القرآنية تكمن في المكان الذي جيئت فيه معجزة.

ومن مواضع التقديم والتأخير قوله تعالى: ﴿ ٱ ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب ت ث ث ث ﴾ [التوبة:55].

قال الرازي: «في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة»[1].

وقال الفراء: «معناه: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، هذا معناه، ولكنه أخر ومعناه التقديم_ والله أعلم_ لأنه إنما أراد: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة»[2].

ومحاولة التقديم والتأخير على _ليعذبهم _ أنه عز وجل جعل المال والولد وسيلة لتعذيبهم جراء ما فعلوه في الحياة الدنيا، بالرغم من أنها كانت وسيلة للتفاخر، فانزياح التعبير للتقديم والتأخير أدى المعنى المطلوب، ولولاه لما فهمت الآية على هذا الوجه.

إن لهذا اللون البلاغي أهمية بالغة، إذ لا يتم تقديم كلام على نية التأخير أو تأخيره على نية التقديم عبثًا، ولا يخرُج الشيء المقدم أو المؤخّر عن حكمه الإعرابي الذي كان له في الأصل، ولكنه قد يخرجه عن حكمه البلاغي الذي كان له إلى حكم آخر اقتضاه المعنى، لبواعث تخرج الكلام في صورة أبلغ وأفصح لتضفي على النص قيمًا جمالية ومعاني بلاغية، لا يُتوصل إليها إلا بهذا الأسلوب البلاغي.

[1] _ تفسير الفخر الرازي: الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين محمد الرازي، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج16، ص95.

[2] _ معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1403هـ–1983م، ج1، ص 442.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

3–1–2– الحذف:

يقتضي السياق اللغوي الحذف، لأنّه من الوسائل المهمة التي تساهم في تحقيق المعنى البلاغي، فالجملة ترتبط بجملة أو بجمل أخرى، قد تكون سابقة لها أو لاحقة، مع وجود قرينة تكون دالة عليه حتى يتلاءم مع أهم خصائص اللغة العربية وهي الإيجاز، يقول عبد القاهر الجرجاني: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمتَ عن الإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن »[1].

هذا ما يُضفيه الحذف على السياق من جمالٍ في التعبير، ودقة في العبارة، وما يتركه في النفس من أثرٍ، يكون أبلغ عند حذفه من الذكر.

وقبل الحديث عن الحذف فإن التعريف اللغوي والاصطلاحي له هو:

أ– لغة: جاء في تاج العروس: «حذفه، يحذفه، حذفا: أسقطه... وقال غيره: حذفه، حذفا: قطعه من طرفه... وقال الليث: الحذف: قطع الشيء من الطرف»[2].

وجاء في لسان العرب: «حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعة من طرفه... والحذافة: ما حُذف من شيء فطرح...وفي الصحاح: حذف رأسه بالسيف حذفا ضربه فقطع منه قطعة... الجوهري: حذف الشيء إسقاطه»[3].

ويتضح مما سبق أن الحذف هو القطع من الطرف خاصة، إضافة إلى الطّرح والإسقاط.

---

[1] _ دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2004م، ص146.

[2] _ تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: مصطفى حجازي، دط، الكويت، 1409هـ–1989م، مادة (ح ذف)، ج23، ص121–125.

[3] _ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ح ذف)، مج2، ج 10، ص810–811.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

ب– اصطلاحا: هناك تعاريف عديدة منها: «إسقاط كلمة من بناء الجملة، وقد تكون هذه الكلمة ركناً من أركانها، كالمبتدأ أو الخبر أو الفاعل، وقد تكون حرفاً، وقد تحذف الجملة كجملتي جواب الشرط أو جملة جواب القسم» [1].

ولعل أنسبها تعريف الزركشي: «إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل» [2].

ويقول فاضل صالح السامرائي عن الحذف القرآني خاصة :« قد يُحذف في التعبير القرآني لفظٌ، أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يحذف حرفاً أو يذكره، أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرضٍ بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال»[3].

ويبيّن السامرائي هنا دور البلاغة في الحذف؛ أي أن للحذف أغراضاً بلاغية يخرج إليها، مع شرط مراعاة السياق.

ولو تأملنا القول جيداً لوجدنا فيه حديثاً عن أنواع الحذف، كحذف لفظ أو أكثر، أي قد تكون جملة أو أكثر، وحذف الحرف، ورُبطت هذه الأنواع بالأغراض البلاغية التي يخرج إليها في ضوء السياق[4].

ومن الأمثلة التي تبرز ذلك قوله تعالى: ﴿ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ڑ﴾ [الذاريات: 38–39]

حذف المبتدأ "**هذا** "، وتقدير الكلام :(هذا ساحر أو مجنون)، لأن سياق السورة يصور تكذيب فرعون لموسى عليه السلام، ورغبته في القضاء عليه، وإن ذكر اللفظ الدال

[1] _ معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية: محمد ابراهيم عبادة، ط2، مكتبة الأدب، القاهرة، مصر، دت، ص85.

[2] _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص102.

[3] _ التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، ط4، دار عمان، الأردن، 1427هـ–2006م، ص75.

[4] _ أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز: مصطفى شاهر خلوف، ط1، دار الفكر عمان، الأردن، 1430هـ–2009م، ص155–190.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

على موسى عليه السلام يحمل دلالة السخرية والتهكم بفرعون، فضلا عن أن سياق القصص القرآني في هذه السورة مبني على الإيجاز، فناسب الحذف سياق الإيجاز.

وللطاهر ابن عاشور قول آخر: « والتقدير: وتركنا في موسى آية... والكلام على حذف المضاف، أي في قصة موسى حين أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى...فيكون التقدير المقدر في حرف العطف مرادا به جعل الدلالة باقية فكأنها متروكة في الموضع لا تنقل منه»[1].

ومما لا شك فيه أن الحذف في القرآن الكريم يتمتع بقصدية لا حدود لها، وأن هذه القصدية الجمالية منساقة خلف المعنى، تلاحقه فتمسك به، وتقدمه على أكمل وجه وأحسنه، والمسألة التي يثيرها الحذف في القرآن الكريم، هي أن الحذف يتجه بالناظر في المعنى إلى السياق، ولا شيء غير السياق كي يتحصل على المعنى منه[2].

فجاء الحذف مراعياً للسياق من خلال استبعاد بعض العناصر التي تشير إلى العنصر المحذوف، بحيث يغني المذكور في إغناء الدلالة عن العناصر المحذوفة، وبتقدير المحذوف يكتمل المعنى البلاغي للنص القرآني.

ومن أمثلة الحذف أيضا قوله تعالى: ﴿ ژ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ﴾ [النحل:81]؛ أي: تقيكم الحر والبرد فحذِف المعطوف لدلالة الكلام عليه، وفي ذلك يقول أبو السعود:« خصَّه بالذكر، اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر، أو لأن وقايته هي الأهم عندهم»[3].

[1] _ التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ج27، ص9.

[2] _ في علم دلالة النص، نظرات في قصدية الحذف: بين مظاهر الإعجاز القرآني ومناهج التحليل اللغوي: محمد جعفر العارضي، ط1، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2012 م، ص49.

[3] _ تفسير "أبو السعود": المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 133.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

ويقول الزركشي أيضاً :« وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحر بالذكر؟ وأجابوا بأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة، والوقاية عندهم من الحر أهم، لأنه أشد من البرد عندهم»[1].

ولعل تخصيص الحرَّ بالذكر دون البرد، مردّه إلى أن الأمراض الناجمة عن الحر أكثر من الأمراض الناجمة عن البرد، فأدى الانزياح المعنى بدقة متناهية، ولو ذكر اللفظ بعينه لما كان ذلك المعنى.

ويظهر الحذف جلياً في الجمل؛ إذ يمكن التوصل للمحذوف بدلالة السياق عليه، ومثال ذلك قوله تعالى: ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ژ [إبراهيم: 31].

فتقدير الكلام: إنْ قُلت لهم أقيموا يُقيموا، وأنفقوا ينفقوا، فالحذف الواقع هنا هو حذف جملة الشرط، وقد علل الزمخشري الغاية والسبب من حذف هذه الجملة بقوله :« المقول محذوف لأن جواب قل يدل عليه، وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا، وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا، بمعنى ليقيموا ولينفقوا، ويكون هذا هو المقول»[2]، وذهب أبو السعود إلى نحو ذلك حين قال: «وفيه إيذان بكمال مطاوعتهم للرسول ρ وغاية مسارعتهم إلى الامتثال بأوامره»[3].

يأمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عباده بإقامة الصلاة وعبادته في السِرّ والعلن،

وينظر: ـــتفسير النسفي المسمى: بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد محمود النسفي: تح: سيد زكريا، دط، مكتبة نزار مصطفى الباز، مصر، دت، ج2، ص592.

[1] ـــ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص118.

[2] ـــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، ج 3، ص381.

[3] ـــ تفسير "أبو السعود": المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج5، ص 46 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

والإنفاق في سبيله بإعطاء الزكاة لمستحقيها من الفقراء والمساكين لقوله تعالى: ﴿ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ﴾ ﴿ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ [التوبة: 60]، والحث على ذلك الإنفاق قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا ينفع فيه بيع وشِراء، ولا شفيع وصديق، فحذف الشرط كأنه إشارة إلى ضيق المدة الزمانية بين الحياة والموت فلهذا يجب الإسراع بالصلاة والإنفاق لوجه الله للحصول على الثواب والأجر في يوم لا ينفع فيه صديق ولا خليل.

فجاء الحذف مناسباً للسياق القرآني الوارد فيه، ويمكن التعرف على المحذوف اعتمادا على أدلة سياقية، فالحذف ظاهرة لغوية، حين يميل القرآن الكريم إلى إسقاط بعض العناصر اللغوية التي يمكن فهمها من سياق الكلام لميل اللغة العربية إلى الإيجاز والاختصار.

وفي قوله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ﴾ [الماعون:1_2] .

قال أبو السعود: «فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط محذوف، على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره، والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالإسلام ؟، إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا، ويزجره زجرا قبيحا»[1].

لقد حذف القرآن الكريم الشرط للتعجيل بفضح فعل الرجل الذي نحر جزورا فأتاه يتيم يسأله فقرعه بعصاه[2]، ولتركيزه في الأذهان حينما قال :"أرأيت الذي يكذب بالدين"، فانجذب السامع لمعرفة ما أبهم، فلما جاءه الجواب بسرعة" فذلك الذي يدع اليتيم" فرسخ ذلك في ذهنه، وكان ذلك إسراعا في فضح الفاعل، حين يتناول الناس ذلك الخبر الموجز فيتناقل بسرعة لقلة تفصيلاته.

وقال تعالى: ﴿ ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ﴾ [النمل:28_29] .

[1]_ تفسير أبو السعود: المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، ج9، ص203.

[2]_ التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ج30، ص 566.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

قال الزركشي:« ما بين الآيتين جمل محذوفة تقديرها :فأخذ الكتاب فألقاه إليهم، فرأته بلقيس، وقرأته، وقالت :يا أيها الملأ »[1].

(اذهب بكتابي هذا) يقتضي كلاماً محذوفاً، كتفكير سليمان في الاتصال بملكة سبأ، التي قالت (يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم) فطويت وحذفت أخبار كثيرة لتقدير الكلام بـ: فذهب الهدهد إلى سبأ فَرُمي الكتاب إلى الملكة وهي في مجلس حكمها فقرأته... فحذفت تفاصيل كثيرة لسرعة الاجابة لقول سليمان على صيغة الأمر (اذهب) وجواب الملكة (ألقي كتاب كريم).

لقد حذفت القصة التفاصيل غير المهمة على عادة القرآن في اختصار المشاهد وتكثيف المعاني.

– وختاما يمكن القول إن النص القرآني مثَّل بخروجه عن اللغة المألوفة وبانزياحه عن المتعارف عليه ظاهرة إعجازية، وجد فيها الدارسون مجالا رحباً للكشف عن خصوصيته البلاغية .

_ يعد الانزياح إجراءا بلاغيا يستخدم لدراسة بلاغة التركيب.

_ لا يمكن أن نعتبر كل خروج عن المألوف انزياحاً ما لم يحقق سمة جمالية ولمسات بيانية واضحة.

_ تجلى الانزياح التركيبي بنوعيه التقديم والتأخير والحذف، في محكم الكتاب، وهذا هو الذي يثبت إعجاز القرآن الكريم.

_ التقديم والتأخير من المباحث التي يقوم عليها الانزياح، لما له من وثيق الصلة بقصد المتكلم وحال المخاطب، والمقام الذي يلقى فيه الكلام.

_ لا تقتصر دلالة النصوص القرآنية على ظاهر ألفاظها فقط، بل تشمل ما يفهم من معاني، وبالتالي فإن فهم العنصر المحذوف يساعد على فهم المعنى.

[1]_ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040, ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48–72 تاريخ النشر: 2018/12/13

_ يخرج الحذف لأغراض بلاغية كثيرة أخرى منها :الإيجاز والاختصار.

فالقرآن الكريم مازال وسيظل زاخراً بالقضايا البلاغية التي تحتاج للدراسة العميقة من أجل الوقوف على خصائص أسلوبه وما امتاز وتفرد به ﴿ ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ﴾ [الحجر: 09].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com